

النبوءة في كتاب فخر المحققين  
معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين  
في أصول الدين

أ.د. عاصم حاكم عباس

جامعة القادسية/كلية التربية

م.د. فاطمة جمال محمود

جامعة بغداد/كلية التربية (ابن رشد)

*Prophecy in the Book of Fakhr Al-Muhaqiqin  
Mi'raj Al-Yaqin fi Sharh Nahj  
Al-Mustarshidin fi Asul Al-Diyn*

*Prof. Dr. Asim Hakim Abbas*

*Al-Qadisiyah University/College of Education*

*Asst. Dr. Fatima Jamal Mahmoud*

*University of Baghdad/College of Education*

*(Ibn Rushd)*



## ملخص البحث

قدّمت مدرسة الحِلّة الفكرية علماء كان لهم عظيم الأثر في تطوّر الفكر الدينيّ والفقهيّ، وحرصت تلك النخبة على تقديم منهج علميٍّ وتحقيقيّ في مفاصل العلوم الكلاميّة وتفسير القرآن، واشتهر منهم في هذا المنحى العلميّ الشيخ فخر المحقّقين، الذي وضع نسقاً منطقيّاً من الكتابات التفسيرية، مستكملاً طريق أبيه العلامة الحليّ، ربيب المدرسة الحليّة، واشتهر فخر المحقّقين بخصوصيّة التفسير لوالده، وكأنّه جاء ليفكّ طلاسم العلامة الحليّ، وقد تميّز فخر المحقّقين في منهجه ومقدرته الاستدراكية، وظهر له نصيبٌ ودورٌ كبير في التأصيل والتجديد في المدونات الفقهيّة والأصوليّة.

شرح فخر المحقّقين في كتابه معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين في أصول الدين النبوة، الكلمة العظيمة ذات الأبعاد الدقيقة والحساسة، فكان عليه أن يضع كلّ جهده في سبيل استكمال معنى النبوة الحقّة، لذلك جاء بحثنا (النبوة في كتاب فخر المحقّقين معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين في أصول الدين).

اسند البحث في إطار التحليل إلى استخدام الأسلوب المقارن في إيراد المصادر الخاصّة التي تطابقت مفاهيمها مع كتاب فخر المحقّقين، بل زيادة في الروية الكلاميّة والتاريخيّة، ونماذج الكتب المستخدمة، وإن قلّت، لكنّها أعطت نوعاً من الفهم لبعض المصطلحات والمفاهيم. أيضاً استخدم البحث التقسيم الموضوعي في دراسة متطلّباته.

## Abstract

The Hillah Intellectual School presented scholars who had a great impact on the development of religious and jurisprudential thought, and that elite was keen to present a scientific approach in the articulations of theological sciences and the interpretation of the Qur'an. Sheikh Fakhr Al-Muhaqiqin was famous among them in this scientific approach, who set a logical pattern of exegetical writings, complementing the path of his father. Allama Al-Hilli, son of Hilla school. Fakhr Al-Muhaqiqin was famous for the specificity of the interpretation of his father, as if he had come to decipher the hieroglyphs of Allama Al-Hilli. Fakhr Al-Muhaqiqin was distinguished in his methodology and remedial ability, and it appeared that he had a great share and role in the rooting and renewal of jurisprudential and fundamentalist codes.

In his book (Mi'raj al-Yaqin fi Sharh Nahj Al-mustarshidin fi Asul Al-diyin) Fakhr Al-Muhaqiqin Explained prophecy, the great word with precise dimensions and feeling, he had to put all

his efforts in order to complete the meaning of true prophecy, so we titled our research "Prophecy in the book of Fakhr Al-Muhaqiqin(Mi'raj al-Yaqin fi Sharh Nahj Al-Mustarshidin fi Asul Al-diyn).

In the framework of the analysis, the research was based on the use of the comparative method in listing the private sources whose concepts coincided with the book Fakhr Al-Muhaqiqin, but rather an increase in verbal and historical narration, and the models of books used, even if they were few, but gave a kind of understanding of some terms and concepts. The research also used the thematic division in studying its requirements.

## المقدمة

إنَّ كتاب (معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين في أصول الدين)، كما يُفهم منه، تنبيه الأُمَّة بضروريات أصول الدين، والتعرُّف إلى مباحث علم الكلام، واستجلاء اصطلاحِي النبوة ومعناها في حقل التخصص الكلامي الذي يحشد الحقيقة الفلسفية لصوغها عبارات يفسرها المنهج الحسي الملموس في نصوص الخبر وتشعباته، وبعد أن يجعلها في مرتكزات محدّدة، ويبدأ بالتقصّي عنها في كتاب والده، وعملية شرحها، والتحرّي عنها، يُعدُّ من المهام الصعبة على الباحث في أصول الفقه وعلم الكلام.

وفي الوقت نفسه، جعل المقارنة تسير مع النصوص، ليحللها في مضمار علمي دقيق، هو أن فهم النبوة لدى علماء علم الكلام مستمدُّ من العلم الإلهي القرآني المعبر عنه بكلِّ شيء، فعلماء الفقه يقدرّون للنبيِّ علمًا، هو العلم بجميع الأشياء، وهو بعلمه هذا يكون أشبه بالتعبير عن السيرة الذاتية لطبيعة المبدأ الحقِّ، وهم يعدُّون مسوِّغ هذا العلم مستمدًّا ممَّا في نفس النبيِّ من التعقُّل، ومعجزة تجري على يديه، وقدرة في المباهلة ورد الحجّة، وصولًا إلى مرتبة من مراتب الكمال بالفعل، فالكمال الذي يتشرف به النبيِّ هو ليس بالنبوة بما هي نبوة، وإنما بما يمتلك من عنصر إعجازي في اطلاعه على جميع العلوم والمعارف، وانكشاف جميع حقائق الموجودات له، وبهذا يصبح عقل النبيِّ عقلًا يستغرق جميع الأشياء بما يستمدُّه من العلم الإلهي.

يُضاف إلى ذلك أن علم الكلام يفهم النبوة في ترتيب العلم الشمولي، والمنهج الإيضاحي الذي اعتمد، والأدلة التي حشدتها فخر المحققين لشرح كتاب والده كانت نوعاً من التبسيط الكلامي نحو فهم أكثر، بل تفسيرها، وإضافة آيات قرآنية، وأحاديث نبوية وشيئاً من السيرة التاريخ؛ لزيادة في الفائدة، وكشف المبهم.

استند البحث في إطار التحليل إلى استخدام الأسلوب المقارن في إيراد المصادر الخاصة التي تطابقت مفاهيمها مع كتاب فخر المحققين، بل زيادة في الروية الكلامية والتاريخية، ونماذج الكتب المستخدمة، وإن قلت: لكنّها أعطت نوعاً من الفهم لبعض المصطلحات والمفاهيم، واستخدم البحث أيضاً التقسيم الموضوعي في دراسة متطلباته.

## النبوة ومشروعيتها

يضع فخر المحققين في المعراج أقوالاً تفسيرية وتوضيحية لمقولات العلامة الحلي، ومصدها إثبات الشيء، في معنى الخبر والتكلم ضمن المنطق الحسي الملموس في مباحث الكتاب المشار اليه، والتي منها النبوة والعصمة، إذ يقول الأب: «النبى هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر»<sup>(١)</sup>. ومجمل القول وثيق الصلة بتسلسل الأخباري والحلقة الموصلة إلى الآخر، لا تكون من الجنس نفسه، أي بقيد الإنسان يخرج الملك، فإنه يخبر عن الله تعالى، ولكنه ليس إنسان، والنبى يُخبر عن الله تعالى بعدة وسائل، ومنها عن طريق جبرائيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ذَكِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويجعل فخر المحققين شرحه عن النبى فيما نصَّ على والديه عن مختصرات ثلاث «الملك، يخرج المخبرة عنه، يخرج العالم الذي يخبر عن الله تعالى بواسطة النبى»، وفي معناه الاصطلاحى، عرفه أهل الكلام بأنه الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر. قال ميثم البحراني «بقيد الإنسان يخرج الملك، وبقيد المخبر عن الله يخرج المخبر عن غيره، وبقيد عدم واسطة بشر يخرج الإمام والعالم، فإنها خبران عن الله تعالى

(١) فخر المحققين، الشيخ محمد بن الحسن بن يوسف المطهر الحلي، معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين في أصول الدين، تحقيق: طاهر السلامي، مطبعة الكفيل، العتبة العباسية المقدسة، ١٤٣٦هـ: ٢٥٥.

(٢) سورة الشورى: ٥١.



بواسطة النبي<sup>(١)</sup>.

استمرَّ فخر المحقِّقين يقدِّم الشروح المتقدِّمة في نصوص العلامة بأنَّ الحكمة تدعو إلى نصب النبي، خلافاً للبراهمة<sup>(٢)</sup>، ويقرُّ أنَّ نصب النبي عند الإمامية من الضرورة بمكان، التي يتوقَّف عندها العالم أجمع، خلافاً للأشاعرة<sup>(٣)</sup>، وعند مقارنة مرتكزات فخر المحقِّقين مع الحتمية التاريخية التي تتعامل مع المنطق الغيبي، المحرِّك للأحداث التاريخية نحو تنصيب المنقذ، صاحب المؤهلات الشخصية والعقلية، وهو ما ذهب إليه توماس كارليل عندما ترجم حياة النبي محمد ﷺ، واصفاً إياه بالبطل الأوَّل، أي الحكمة تنصب النبي<sup>(٤)</sup>.

ويقول: «إنَّ الإنسان لا يستقلُّ وحده بأمر معاشه»<sup>(٥)</sup>، أي إنَّ قانون الاجتماع البشري في مضامينه الاستدلالية واجب الوجود؛ لأنَّ الإنسان بطبعه اجتماعي بالفطرة، «الإنسان مدني بالطبع»<sup>(٦)</sup>، ولا يمكن أن يستمرَّ في العيش فاقداً لها، وفي تفسير خواصِّ الاجتماع بالتعاون، يأخذ كلُّ فردٍ حاجته بإزاء ما يأخذ منه من عمله، واجتماع الناس على التعاون في مقولة فخر المحقِّقين يحتاج إلى عدالة؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ يشتهي

(١) كمال الدين ميثم البحراني، قواعد المرام في علم الكلام، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، باهتمام:

السيّد محمود المرعشي، منشورات مكتبة آية الله العظمى السيّد المرعشي.

(٢) ويطرح المتكلِّمون (شبهة البراهمة) دائماً عند بحثهم مسألة النبوة، ويعرِّفون البراهمة بأنَّهم

المنكرون للنبوة بحسب دليلهم العقلي، والذي تناقلته آثار المسلمين في كتبهم. للمزيد ينظر:

مجتبى الزرواني، البراهمة في كتب المسلمين، نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة في

بيروت: ١.

(٣) فخر المحقِّقين، المصدر السابق: ٢٠٦.

(٤) توماس كارليل، محمد ﷺ المثل الأعلى، محمد السباعي، القاهرة، ١٩٩٣.

(٥) فخر المحقِّقين، المصدر السابق: ٢٥٦.

(٦) المصدر نفسه.

ما يحتاج إليه، فيقع الاختلاف، وهنا يأتي دور الشريعة واستحقاق الطاعة، وهي أيضًا لا تُطبَّق إلا بوجود المعجز، وتنقسم بين القوليَّة والفعلية، والجميع محتاج إلى نبيّ ذي معجزة ظاهرة<sup>(١)</sup>.

وفي سياق المقارنة، يذكر الباحث يحيى محمّد أنّ النبوة تمثّل العلم الشموليّ، وهو البُعد المتمثّل بالولاية والحاكمية، فلدى الفلاسفة أنّ النبيّ مفوّض، بحسب ما له من العقل الكامل، لأن يحكم العالم على صورة ما يحكم المبدأ الحقّ الموجودات، وذلك بتكميل النفوس البشرية، وإبصالها إلى غايتها المتمثّلة بالمفارقات الساموية، أو على شاكلة ما يُطلق عليه المدينة الفاضلة، كما لدى الفارابيّ، فريئس هذه المدينة يجب أن يكون حكيماً نبياً حتّى يصل بها إلى المثال<sup>(٢)</sup>.

من النظرة الأولى، يُلاحظ أنّ فخر المحققين تمكّن في تطويع علم الاجتماع البشريّ، وأظهر البراعة في تمكين النظرية والتطبيق، سابقاً في ذلك رواد النهضة الأوربية الحديثة في علم الاجتماع ونظريّاته، الذين عالجوا الاجتماع البشريّ بأنّ الإنسان عندما جاء إلى الطبيعة شكّل الأسرة، ومنها أنشأت القرية، ومنها تكوّنت المدينة، لكن تلك المدينة لا يمكن لها أن تستمر دون أن يقوم الناس بالتضحية بحريّتهم ليجلبو الحاكم الذي يوحد المدينة، ويضمن استمرارها، ويطبّق العدالة فيها، ويجب أن يكون حكيماً، يمتلك الصفات الإعجازية في إدارة الأمور بما يحقّق العدالة، ويرى جان جاك روسو الفيلسوف الفرنسيّ أنّ الاجتماع البشريّ ضرورة ملحّة، خلقتها حالة النمو والتطور التي مرّت بالبشرية، وصولاً نحو اختيار النخبة الموجهة لها، لضمان البقاء والاستمرار، ودائماً

(١) فخر المحققين، المصدر السابق: ٢٥٧.

(٢) يحيى محمّد، حقيقة النبوة في الفكر الفلسفيّ العرفانيّ، مجلّة المنهاج، العدد ٣٣، بيروت، السنة

التاسعة، ربيع ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م: ٩-١٠.

ما يكون الاختيار الأول صائبًا، ذلك أن الشخص المؤهل حكيم (نبي<sup>(١)</sup>).

وعند المقارنة مع كلام فخر المحققين، أن الصفة الاعجازية للنبي الخاتم ارتسمت منذ الأيام الأول لولادة النبي محمد ﷺ، وبلحاظ المؤرخين أو لها مسالة الرضاة، وإدراج الحليب عند حليلة السعدية، واخضرار المراعي المجدبة عند مقدمه<sup>(٢)</sup>.

إن ما يثير الاهتمام في الشرح «النبوة والاعجاز لا يحصلان من غير دعوة إلى الخير، فإذًا لا بد من نبي ذي معجزة ظاهرة». هنا الحجّة على النبوة بالتأمل فيما ذكره، نجد أنّها منطبقة على السيرة التاريخية للخاتم، ومن ثمّ مقبوليته بين العامة، بدعوته الدائمة إلى الخير والصّلاح، ومصداق ذلك ذكرته كتب السّير من أنّ حياة النبي محمد ﷺ كانت حافلة بالروايات التي تقرّ بعدالته، ونصرته للمظلوم، ودعوته للعدالة، كما حصل في موقفه من حلف الفضول<sup>(٣)</sup>، إذ قال رسول الله: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان

(١) فخر المحققين، المصدر السابق: ٢٥٧.

(٢) جعفر السبجاني، سيّد المرسلين دراسة تحليلية شاملة للشخصية والسيرة المحمدية في شتى أبعادها الاجتماعية والرسالية والسياسية والعسكرية، جمع: جعفر هادي، قم المقدسة ١٤٢٩ هـ: ٢٢٢-٢٢١.

(٣) حلف الفضول: أحد الأحلاف الجاهلية لقبيلة قريش، عُقد في دار عبد الله بن جدعان القرشي، في شهر ذي القعدة من عام ٥٩٠ م، وقد شهد الرسول محمد ﷺ على ذلك الحلف قبل البعثة، حيث كان عمره ٢٠ سنة، وقال: «لقد شهدت مع عمومتي حلفًا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت». السبب الرئيس من عقد حلف الفضول عندما جاء رجل من منطقة (زبيد)، وخرج في تجارة، فاشترها منه (العاص بن وائل)، وكان له قدر كبير في مكة المكرمة وشرف، فحبس حقه عنه، فقام بالاستدعاء عليه الزبيدي من خلال الأحلاف؛ لقيامه بعتق الدم، وهم: مخزوم وسهم وعبد الدار وجمح وعدي، فقاموا بإعانتة على (العاص بن وائل) وقاموا بانتهازه، فقام الأسدي بصعود جبل أبي قبيس خلال طلوع الشمس، وقبيلة قريش في أندية حول الكعبة المشرفة، وقام بالنداء بأعلى صوته قائلاً: يا للرجال لمظلوم بضاعته، بطن مكة نائي الدار والنفر ومحرم أشعث لم يقض عمر، ته يا للرجال =

حلفاً لو دُعيت به في الاسلام لأجبت»<sup>(١)</sup>.

لقد قضى رسول الله ﷺ شطراً من حياته قبل البعثة في رعي الغنم في الصحاري والقفار؛ ليكون بذلك صبوراً في تربية الناس الذين سيكلف بقيادتهم وهدايتهم، وليسهل كلَّ صعب في هذا المجال. إنَّ إدارة المجتمع البشري من أصعب الأمور التي تواجه القادة ورجال الاصلاح، وينقل كثير من أرباب السَّير والمؤرِّخين هذه العبارة عن النبي الخاتم: «ما من نبيٍّ إلَّا وقد رعى الغنم»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ النماذج المقارنة ما هي إلَّا نزر يسير جداً عن السيرة النبويَّة الخالدة، وإيرادها كان هدفه الاجتماع البشريِّ بصورته المبسَّطة، الملاصقة للواقع المعاش في وجهتها التاريخيَّة.

يرى فخر المحققين أنَّ عقل الإنسان يتفاعل مع السمعيَّات، وأيُّ ما يحصل في العقل قبال السمعيَّات هو التعقل بالفعل دون القوة، وأنَّ العقل يؤثِّر في الجسم مباشرةً، وإذن لا تتمُّ إلَّا عن طريق البعثة. إنَّ العقل لا يتقبل بالسمعيَّات إلَّا إذا كانت من رسولٍ

=وبين الحجر والحجر إنَّ الحرام لمن تمت كرامته، ولا حرام لثوب الفاجر الغدر. ما هو نص حلف الفضول الذي قام بالدعوة إليه هو الزبير بن عبد المطلب القرشي، حيث قال: «ما لهذا منزل»، فقام بالاجتماع كلُّ من تيم بن مرَّة وزهرة وهاشم في دار عبد الله بن جدعان القرشي، حيث كان سيّد قبيلة قريش، وقام بصنع الطعام لهم، حيث قاموا بالتحالف في شهر ذي القعدة، فتمَّ التعاقد والتعاهد بالله أن يكونوا يداً واحدةً مع الشخص المظلوم على الظالم؛ ليرجع إليه حقُّه ما بلَّ بحر صوفة، وما رسا حراء وثبير مكانهم، وعلى التأسي في المعاش، فقامت قريش وسمَّت هذا الحلف بحلف الفضول، حيث قالوا: «لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر»، ثمَّ ذهبوا إلى (العاص بن وائل)، فأخذوا منه تجارة الزبيدي ودفعوها إليه. للمزيد ينظر: أبو الفداء، الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٠/ ١٩٩٠ / ٢: ٢٩٠-٢٩٢.

(١) المصدر نفسه: ٢٩١.

(٢) السيرة النبويَّة لابن هشام: ١/ ١٦٦.

وبحسب الرؤية الفلسفية، فإن حقيقة النبوة عبارة عن نفس جامعة لعوالم علم كمالية ثلاثة، هي قوة الإحساس والتخيّل والتعقل، وقد قدر أن يكون للنبي عقل مستفاد يتصل بالعقل الفعّال، ومن الناحية الدينية متّصل بجبرئيل عليه السلام، وهو الذي له الأفضلية، بوصفه يمثل مصدر المعلومات النبوية وغير النبوية، فالفضل وفقاً لهذه الرؤية إنما يكون بحسب ما عليه الكائن من الرتبة الوجودية<sup>(٢)</sup>.

أوقف فخر المحقّقين كلّ شيء على البعثة، «إنّ العلم بالعقاب، والعلم بدوامه، والعلم بدوام الثواب، لا يحصل إلّا من النبيّ، وهذه العلوم لطف في التكليف، واللطف واجب، وما لا يتمّ الواجب إلّا به، فهو واجب، فالبعثة واجبة»<sup>(٣)</sup>.

وفي مقارنته وصفية على مقالة الشهيد الصدر الثاني بأن النبوة بوصفها ظاهرة ربّانية في حياة الإنسان هي القانون الذي وضع صيغة الحلّ هذه بتحويل مصالح الجماعة وكلّ المصالح الكبرى التي تتجاوز الخطّ القصير لحياة الانسان، إلى مصالح للفرد على خطّه الطويل، وصيغته تتألف من نظرية وممارسة تربوية معيّنة للإنسان على أساسها، والنظرية هي المعاد، يوم القيامة، والممارسة التربوية على هذه النظرية عملية قيادية ربّانية، ولا يمكن إلّا أن تكون ربّانية؛ لأنّها عملية تعتمد على اليوم الآخر، أي الغيب، فلا توجد إلّا بوحى السماء، وهي النبوة<sup>(٤)</sup>.

يشرع فخر المحقّقين عند ايراد العصمة بالقول: إنّ اللطف الإلهيّ يفعل بالملكف

(١) فخر المحقّقين، المصدر السابق: ٢٥٨.

(٢) يحيى محمّد، المصدر السابق: ١١.

(٣) فخر المحقّقين، المصدر السابق: ٦١.

(٤) محمّد باقر الصدر، المرسل الرسول الرّسالة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٣: ٦١.

النبوة في كتاب فخر المحققين معراج اليقين في شرح نهج  
المسترشدين في أصول الدين

ذلك، لكن هذا لا يعني أن يترك المكلف الطاعة والعبادة كونه معصوم عن الخطأ، ومصدق ذلك ما شهدته سيرة الأنبياء عليهم السلام من الطاعة والإقبال إلى الساحة القدسيّة بكلّ جوارحهم، وجعل أفعال الأنبياء لا تخلو من أربعة: الاعتقاد الدينيّ، الفعل الصادر عنهم من الأفعال الدينيّة، تبليغ الأحكام ونقل الشرائع، الأفعال المتعلقة بهم في الدين<sup>(١)</sup>.

ثمّ يتبع صاحب كتاب (المعراج) بحثه في تقسيمه لمخالفتي ومؤيدي العصمة، فيذكر اتّفاق العقلاء على امتناع الخطأ فيه، ويشير إلى مخالفة الخوارج المنحرفين، إذ جوّزوا الكفر على الأنبياء، على حين جوّز بعضهم الكبائر عليهم، وآخرون منعوا منه، وجوّزوا الصغائر، أمّا الاماميّة فمنعوا من القسمين عمدًا وسهواً قبل النبوة، ويرى فخر المحققين أنّه لا توجد ثمة بعثة ونبيّ، إذا كان النبيّ يرتكب الآثام والذنوب، وتكون هنا البعثة باطلة، والرأي الصحيح ما ذهب إليه الإماميّة<sup>(٢)</sup>.

السؤال هنا، هل توجد ثمة أحداث تاريخيّة، تعبّر عن سند النبوة في مصدّقها، الجواب إنّ المتواتر بين كتاب التاريخ والسّير أنّ حياة رسول الله صلى الله عليه وآله منزّهة عن كلّ خطأ أو إثم، بل إنّ التاريخ ليشهد بأنّه كان أشدّ ما يكون نفورًا من اللهو، والعبث، والترف والمجون، فقد كانت تلوح على محيائه دائماً آثار التفكير والتأمّل، وكثيرًا ما كان يلجأ إلى سفوح الجبال أو الكهوف والمغارات؛ للابتعاد عن الجوّ الاجتماعيّ الموبوء في مكّة، يلبث هناك أيّامًا يتأمّل فيها في آثار القدرة الإلهيّة، وفي عظمة الصّنع الإلهي<sup>(٣)</sup>.

ما يهّمنا هنا، كيف يرى فخر المحققين إثبات الأخبار الصحيحة من موقعه كعالم في

(١) فخر المحققين، المصدر السابق: ٢٦٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦٠.

(٣) الشيخ جعفر السبحانيّ، المصدر السابق: ٢٧٦.

الكلام، ومن ثمَّ طريقته الكلامية في فهم الأخبار، ومن ثمَّ التعامل معها، بعد أن يميِّز بين النصِّ الجليِّ والخفيِّ في طهر النبي، يعرض فخر المحقِّقين نظريته في إثبات النصِّ الجليِّ، أي النصِّ الواضح في دلالته على قول العلامة: «ويجب أن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات؛ لئلا يقع التفسير عنه، فتسقط فائدة البعثة»<sup>(١)</sup>.

يدو واضحاً أنَّ فخر المحقِّقين قد استقى معلومات من تاريخ السيرة النبوية، لكنَّه لم يفصل فيما تكلم فيه، بل جعل ركيزة علم الكلام تسير فيه نحو إثبات الشيء، فقوله يصيب الوجوب القطعيِّ في التنزيه، وينبغي هنا إعطاء المقولات التاريخية المقارنة في تاريخ النبي الكريم ﷺ، وهي طهارة النسب النبويِّ من دنس الآباء ودناءتهم، وعهر الأمهات وفسادهنَّ، فلا يكون في أجداده وجدَّاته سفاح، وزنا، والعياذ بالله، وهو ما اتَّفَق عليه المسلمون. ولقد صرَّح رسول الإسلام ﷺ بذلك في أحاديث رواها السنَّة والشيعه، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نُقلت من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة نكاحاً لا سفاحاً»<sup>(٢)</sup>، وقال أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب عليه السلام: «وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وسيِّد عباده، كلِّمنا نسخ الله الخلق فرقتين، جعله في خيرهما، لم يسهم فيه عاهر، ولا ضرب فيه فاجر»<sup>(٣)</sup>.

إنَّ الأدلَّة الواقعية لدى فخر المحقِّقين تأخذ الدرجة القطعية عندما يأتي لشرح ما قاله: «ولا يجوز عليه السهو مطلقاً في الشرع وغيره»، لذلك فهو إن حصل، بحسب وصفه، يعني خللاً في البعثة، وذلك غير جائز<sup>(٤)</sup>.

(١) فخر المحقِّقين، المصدر السابق: ٢٦١.

(٢) الإمام أبو الفتح الشيخ محمد بن عليِّ بن عثمان الكراچكي الطرابلسي المتوفَّى ٤٤٩ هـ، كنز الفوائد، تحقيق: الشيخ عبد الله نعمة، بيروت، ١٩٨٥: ١٦٤.

(٣) الشيخ جعفر السبحاني، المصدر السابق: ١٩٥.

(٤) فخر المحقِّقين، المصدر السابق: ٢٦٢.

لا شكَّ في وجود فائدة كلامية من هذا الكتاب، على الأقل في ما يعني أتباع المنهج الكلامي للمصنّف، لكنَّ الفائدة التاريخية تكاد تُختَصِر على مُعطيات محدودة جدًّا، ومن الصعب التعامل مع هذا الكتاب كمصدر تاريخي، على الرغم من تعرُّضه لبعض المسائل التاريخية المهمّة الخاصّة بصدق النبي ﷺ عندما تُخلَق المعجزة على يديه<sup>(١)</sup>.

إنَّ مستوعبات البحث التاريخي في الاتجاه الغيبي تبقى حسّاسة جدًّا، إذا ما انطبق الفعل مع الواقع، وتاريخ السيرة النبويّة في تدرُّجها أخذت مسارات مهمّة، يصفها الشهيد الصدر الأوّل أنّ النبيّ قد عاش قبل البعثة في قومه، دون أن يحسّ الناس من حوله بأيّ شيء يميّزه عنهم، سوى ذلك السلوك النظيف، ودون أن تظهر في حياته أي بذور عمليّة أو اتّجاهات جادّة، نحو عمليّة التغيير الكبرى التي ظهر بها على العالم فجأة بعد أربعين عامًا من عمره الشريف ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

واتّجاه المعجزة هنا يأخذ مسارًا متعدّدًا، ينقسم بين الممتنع لذاته، كما في تعذُّر خلق الحياة لجنسه، وممتنع لصفته، كخلع المدينة، إذن المعجزة الإتيان بخارق للعادة، مطابق للدعوى المتعذرة، فالإتيان بخارق العادة يتناول الثبوت والعدم، أمّا الثبوت فنحو: قلب العصا حيّة، وانشقاق القمر، ويستفاد من الروايات التاريخية عندما اشترط المشركون إيمانهم برسول الله، ودعوته بشقّ القمر نصّفين، قام النبي ﷺ بذلك بإذن الله تعالى، كما يقول القرآن الكريم: ﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) فخر المحقّقين، المصدر السابق: ٢٦٣.

(٢) سورة يونس: ١٦.

(٣) سورة القمر: ١-٢.



يرى فخر المحققين أنَّ الخارق للعادة لا يكون إلا من أمرٍ ثابتٍ، كما تقدّم وصفه في انشقاق القمر، ولا بدّ أن يكون متعدّراً؛ لأنّه لا يكون دليلاً على الصدق إلا إذا كان من فعله تعالى، ولا يقطع أنّه من فعله إلا إذا كان متعدّراً على غيره<sup>(١)</sup>.

أمّا في قوله: اختلف المسلمون في جهة إعجاز القرآن، فلا ريب أنّ القرآن يتحدّى بالإعجاز في آيات كثيرة مختلفة، مكّيّة ومدنيّة، تدلُّ جميعها على أنّ القرآن آية معجزة خارقة، ويطرح ما ذهب إليه المرتضى والنظام في مسألة (الصرفة)، بمعنى أنّ الله تعالى صرف العرب: منعهم عن معارضته، وقد حمّلاها ثلاثة أوجه، الأوّل: إنّ الله تعالى سلبهم العلوم التي كانوا بها يتمكّنون من معارضة القرآن، الثاني: إنّ الله تعالى سلبهم القدرة على ذلك، الثالث: إنّ الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة، والأوّل اختيار المرتضى<sup>(٢)</sup>.

(١) فخر المحققين، المصدر السابق: ٢٦٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦٥.

### في أدلة إثبات نبوة محمد ﷺ

تحدّث فخر المحققين في باب شرح المبحث الرابع من كتاب العلامة الخاص بإثبات النبوة والمعجزات التي تحققت على يد النبي الخاتم، بقوله: نبينا محمد بن عبد الله ﷺ رسول حقاً، خلافاً للمشركين، كاليهود، والنصارى، والدهرية، ويدل على قولنا أنه ﷺ ادعى النبوة، وظهر على يده المعجز عقيب الدعوى، مقرونة بالتحدي، وكل من كان كذلك فهو صادق<sup>(١)</sup>.

وفي معرض شرحه على ادعاء النبوة، فهو عالمٌ بها بشكلٍ قطعيٍّ، ومعجزته في ذلك القرآن، لكونه قد تحدّى فصاحة وبلاغة العرب، فعجزوا عنه، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنبِئُهُمْ قُلُوبَهُمْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾<sup>(٢)</sup>. ويستمرُّ في ترتيب الأدلة الإعجازية في تحليله، ويرتفع التحدي إلى مستوى أعلى ممَّا تقدّم بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِيْنِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

لا ريب في أنّ القرآن، وبحسب قول صاحب تفسير الميزان، يتحدّى بالإعجاز في آياتٍ كثيرة، مكيّة ومدنيّة، وفيها التحديّ بالنظم والبلاغة، فإنّ ذلك هو من الشأن الظاهر من شؤون العرب المخاطبين بالآيات يومئذ، فالتاريخ لا يرتاب أنّ العرب

(١) فخر المحققين، المصدر السابق: ٢٦٨.

(٢) سورة هود: ١٣.

(٣) سورة الإسراء: ٨٨.

العرباء بلغت من البلاغة في الكلام مبلغاً لم يذكره التاريخ لوأحدة من الأمم المتقدمة عليهم، والمتأخرة عنهم، ووطئوا موطئاً لم تطأه أقدام غيرهم في كمال البيان، وجزالة النظم، ووفاء اللفظ، ورعاية المقام، وسهولة المنطق، وقد تحدى عليهم القرآن بكلّ تحدٍّ ممكن، ممّا يثير الحمية ويوقد العصبية، لكن لم يزدهم إلا عجز وفرار<sup>(١)</sup>.

ويخلص فخر المحققين إلى «أنّ المعجز، كما تقدّم، هو الفعل الخارق للعادة، المطابق للدعوى، المتعدّر في الجنس والصفة، ولا شكّ في أنّ القرآن على ما قرّرناه بهذه الصفات، فيلزم أن يكون معجزاً»<sup>(٢)</sup>.

وفي واقع الأمر، فإنّنا نجد فخر المحققين ينتقل بين المعاجز التي تثبت النبوة لرسول الله محمد ﷺ من المعجز القرآنيّ إلى المعجز فوق العادة الجزئيّ من انشقاق القمر، وحنين الجذع، ونبوع الماء من بين يديه، وما يعرف في المنطق التاريخيّ إثبات الشيء بالوثيقة والدليل، وإن جعل مقياس التواتر<sup>(٣)</sup> في المعجز فوق العادة، بقوله: «هذه الوقائع الجزئية، وإن كان كلّ واحدٍ منها غير متواتر، إلا أنّ المشترك متواتر»<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١-٢، بيروت ٢٠١٠: ٥٥.

(٢) فخر المحققين، المصدر السابق: ٢٦٩.

(٣) التواتر ينقسم إلى لفظيّ ومعنويّ وإجماليّ، والفرق بينها واضح لمن كان له إمام بعلم الدراية، وحاصله أنّ الحديث إذا كان بنصّه متواتراً فهو التواتر اللفظي، وإذا كان كلّ واحدٍ من الأحاديث غير متواتر نصّاً، لكن الجميع يشهد عن قدر مشترك بينها، كالأخبار الواردة حول سخاء حاتم، وبطولة الإمام عليّ، فإنّ كلّ واحدٍ، وإن كان لا يتجاوز أخبار الآحاد، لكنّ الجميع يتفق في حكاية ساحة الأوّل، وشجاعة الثاني، فهذا الجامع متواترٌ معنويّ. وأمّا الثالث فهو ما إذا كثرت الأخبار في موضوع، ونعلم بصدور عدّة منها، وإن لم يكن كلّ واحدٍ معلوم الصدور، كما في المقام، فإنّ كلّ واحدٍ من الأخبار حول معاجزه، وإن كان غير متواتر، لكن نعلم بصدور البعض قطعاً، فهو متواترٌ إجمالاً.

(٤) فخر المحققين، المصدر السابق: ٢٦٩.

النبوة في كتاب فخر المحققين معراج اليقين في شرح نهج  
المسترشدين في أصول الدين

ولما كانت المواصفات محدّدة في كتاب معراج اليقين، ألزم نفسه باستخدام معايير محدّدة في شرحه.

صنّف علماء الفريقين ومحدّثوهم من معاجزه صلى الله عليه وآله أرقامًا كثيرة، ولا يسعنا المقام لذكرها، ولكن لا بأس في الإشارة إلى بعضها بنحو الاختصار، فإنّه كان لكلّ عضو من أعضائه صلى الله عليه وآله معجزة، فمعجزة رأسه أنّ الغمامة كانت تظلّله أينما سار، ومعجزة عينيه أنّه كان يرى من خلفه كما كان يرى من أمامه، ومعجزة أذنيه أنّه كان يسمع الأصوات في المنام، كما كان يسمعها في يقظته، ومعجزة لسانه أنّه كان يستنطق البهائم كالجمل والطبي والضب وغيرها، فيجيبه كلّ منها، ويشهد له بالرسالة، ومعجزة أصابعه أنّه خرج من بينها الماء حتّى ارتوى منه جمع كثير، ومعجزة يده أنّه كان يأتيه الحسنان عليه السلام، فيظلمهما الليل، وعندما يسمع صوتها يناديها هلمّا إليّ، ويُخرج يده أو سبّابته من ثقب الباب؛ فتضيء لهما كضوء القمر والشمس، وكذا عند رجوعهما، ومعجزة رجليه أنّه كان إذا مشى على الأرض الصلبة أو الحجر القاسي ينتقش عليه أثر قدمه، وإذا مشى على الأرض الرخوة أو التراب لم يبين عليه أثر قدمه. وشكا إليه جابر من ماء بئر له أنّ فيه زعاقه أو مرورة، فغسل النبيّ صلى الله عليه وآله رجليه في طشت، ثمّ أمره بإهراق ماء الطشت في البئر، فصار ماؤها عذبًا، ومعجزة بدنه أنّه لم يكن له ظلّ في الشمس، وكان بين كتفيه ختم النبوة مكتوب عليه (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله)، ووُلد مختونًا مقطوع الصرّة، وما أعطى الله آيةً لنبيٍّ من أنبيائه عليه السلام إلاّ وأعطى محمدًا صلى الله عليه وآله مثلها، أو أعظم منها، فلموسى الكليم عليه السلام انقلبت عصا واحدة ثعبانًا، للنبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله انقلبت جذوع سقوف اليهود ثعابين وأفاعي، وهي أكثر من مئة ألف جذع، بعدما اجتمعوا لديه، وسألوه آيةً كآية عصا الكليم، وجعلوا يستهزؤون به ويضحكون على كلامه حينما أوعدهم بذلك، ولما رجعوا إلى منازلهم، وظهر لهم صدق وعيده، تصدّعت مرارات

أربعة منهم، وهلكوا من حينهم، وغشي على الباقين إلى غداة، وقد خبل جماعة منهم، وتوسَّل جمع منهم به ﷺ، فأمنوا وسلموا. وإنَّ طوفان الكليم ﷺ أغرق فرعون وجنوده في البحر، وطوفان النبي الخاتم ﷺ أغرق مئتي رجل بالمطر والسيل في غزوة أحد، وكانوا من المشركين، بعثهم أبو سفيان في جوف الليل؛ ليحتزُّوا رأس المقتول ثابت بن الأفلح من أصحاب النبي، فهبَّت ريح شديدة حتى رمت بجثته في وادٍ منحدر، وتبعها المشركون، فأرسل الله عليهم وابلًا عظيمًا، فأغرقهم ولم يُبقِ لجثتهم ولا لجثة المقتول عينٌ ولا أثر. وإن كان الجراد آية للكليم ﷺ أرسلها الله على زروع بني إسرائيل حتى أكلتها، وبذلك محلوا، فإن رسول الله ﷺ في سفره إلى الشام خرج ذات يوم في طريقه لقضاء الحاجة، وبعد من القافلة، فتبعه مئتا رجل من اليهود ليقتلوه، ولما لحقوه وسلُّوا عليه سيوفهم، أثار الله من تحت رجليه من الرمل جرادًا كثيرًا أحاطت بهم، وجعلت تأكل لحومهم وعظامهم، حتى لم يُبقِ منهم شيئًا، وذلك أعظم من أكلها زروع بني إسرائيل<sup>(١)</sup>.

وفي إطار توضيحه لهذه الراي قدَّم فخر المحقِّقين مثالاً على ذلك يتعلَّق «بشخص ادَّعى في حضرة الملوك أنه وكيله أو رسوله، وقال آية صدقي أن الملك في هذا الوقت أو في غيره من الأوقات المعنيَّة، يفعل فعلاً ما لم تجرِ عاداته بفعله، وفرضنا أن الحاضرين علموا أن الملك حكيم، غرضه صلاح رعيَّته، أو معاملة فيما جعله وكيلاً فيه، فإنه متى فعل لا بدَّ أن يعلم السامعون صدقه، فتثبت صحَّة مقدمات هذه الدلالة، فيلزم صحَّة التلازم عنها، وهو أن محمداً ﷺ صادق»<sup>(٢)</sup>.

(١) السيّد حسن الحسيني اللواساني، نور الأفهام في علم الكلام، تحقيق: السيّد إبراهيم اللواساني، ط ١، ١٤٢٥هـ: ٣٥٣.

(٢) فخر المحقِّقين، المصدر السابق: ٢٧٠.

النبوءة في كتاب فخر المحققين معراج اليقين في شرح نهج  
المسترشدين في أصول الدين

وبذلك يكون فخر المحققين قد كرّس قواعده الفقهية في التدقيق، ومنح نفسه  
صلاحية تفسير نصوص والده، والتصرّف بها بحدود العقل والتشخيص، وللدلالة  
على نبوءة الخاتم بين المعجز والخارق للعادة، وإذا كان ثمة دور مؤثّر للاستدلال في علم  
الكلام.



## في احتجاج اليهود ببطلان النسخ

النسخ بالمعنى المعروف عند الفقهاء، وهو الإبانة عن انتهاء أمد الحكم وانقضاء أجله، اصطلاح متفرّع على الآية، مأخوذ منها ومن مصاديق ما يتحصّل من الآية في معنى النسخ على ما هو ظاهر إطلاق الآية: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

في دائرة البحث أورد فخر المحققين في شرح كلام والده في احتجاج اليهود أنّهم احتجّوا بثلاث نقاط، أولاها أنّ النسخ باطل، فنبوة محمّد ﷺ غير ثابتة (٢)، أي ذهبوا إلى عدم جواز تشريع شريعة بعد شريعة التوراة؛ لذا ذهبهم إلى امتناع النسخ والبداء، ودليلهم في ذلك قولهم إنّ موسى قال: (تمسّكوا بالسّبت أبداً).

وفي الخبر أنّ جماعة اليهود جوّزوا عقلاً وقوع النسخ، ومنعوا من نسخ شريعة موسى ﷺ، وتمسّكوا بما روي عن موسى ﷺ أنّه قال: (تمسّكوا بالسّبت أبداً)، والتأييد يدلّ على الدوام، ودوام الشرع بالسّبت ينفي القول بنبوة محمّد ﷺ، والجواب من وجوه، (الأوّل): إنّ هذا الحديث مُحتلق، ونُسب إلى ابن الراوندي، (الثاني): لو سلّمنا نقله، لكن اليهود انقطع تواترهم؛ لأنّ بخت نصر (٣) استأصلهم وأفناهم حتّى لم يبق منهم من يؤثّق بنقله، (الثالث): إنّ لفظة التأييد لا تدلّ على الدوام قطعاً؛ فإنّها قد وردت

(١) سورة البقرة: ١٠٦.

(٢) فخر المحققين، المصدر السابق: ٢٧١.

(٣) نبوخذنصر: من ملوك بابل، حاكم الامبرطورية البابليّة، عاش قبل الميلاد بحوالي ستائة عام.

النَّبُوءَةُ فِي كِتَابِ فَخْرِ الْمُحَقِّقِينَ مَعْرَاجِ الْيَقِينِ فِي شَرْحِ نَهْجِ  
الْمُسْتَرشِدِينَ فِي أَصُولِ الدِّينِ

في التوراة غير الدوام كما في العبد أنه يستخدم ست سنين، ثم يعرض عليه العتق في السابعة، فإن أبى العتق ثقب أذنه، واستخدم أبدأ، وفي موضع آخر يستخدم خمسين سنة، وأمروا في البقرة التي كُلفوا بذبحها أن يكون لهم ذلك سنة أبدأ، ثم انقطع تعبدهم بها، وفي التوراة قَرَّبُوا إِلَى كُلِّ يَوْمٍ خُرُوفَيْنِ، خُرُوفِ غَدْوَةٍ وَخُرُوفِ عَشِيَّةٍ بَيْنَ الْمَغَارِبِ، قَرَّبَانَا دَائِمًا لِحَقِّكُمْ، وَانْقَطَعَ تَعَبُّدُهُمْ بِهِ، وَإِذَا كَانَ التَّأْيِيدُ فِي هَذِهِ الصُّورِ لَا يَدُلُّ عَلَى الدَّوَامِ، انْتَفَتِ دَلَالَتُهُ هُنَا قِطْعًا، وَأَقْصَى مَا فِي الْبَابِ أَنَّهُ يَدُلُّ ظَاهِرًا، لَكِنَّ ظَوَاهِرَ الْأَلْفَاظِ قَدْ تَتَرَكَّ؛ لَوْجُودِ الْأَدَلَّةِ الْمَعَارِضَةِ لَهَا<sup>(١)</sup>.

وذلك دليل على عدم دوام شرعه في النقطة الثانية، وفي الثالثة أن موسى عليه السلام إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ بَيَّنَّ دَوَامَ شَرْعِهِ، أَوْ انْقِطَاعَهُ، أَوْ لَمْ يَبَيِّنْ شَيْئًا، وَالْأَخِيرَانِ بَاطِلَانِ<sup>(٢)</sup>.



(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تصنيف: سلطان المحققين الخواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢هـ، شرح: العالم الرباني جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي ابن المطهر المشتهر بالعلامة الحلبي المتوفى سنة ٧٢٦هـ، مع حواشي وتعليقات قيمة: آية الله السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني، منشورات شكوري، قم: ٣٨٦.

(٢) فخر المحققين، المصدر السابق: ٢٧١.



## في أشرفية الأنبياء

طرح فخر المحققين مسألة اختلف الناس في ذلك، ولم يُعرَف لماذا استخدم الناس في بداية عبارته، وقوله في ما ذهب إليه الإمامية وجماعة من الأشاعرة إلى أن الأنبياء عليهم السلام أشرف من الملائكة، وقالت المعتزلة والفلاسفة: بل الملائكة أشرف، والمسألة في كونه صلى الله عليه وآله أفضل من الملائكة، (وهو صلى الله عليه وآله) «أفضل من الملائكة، وكذا غيره من الأنبياء»، وذلك «لوجود المضاد للقوة العقلية» فيهم، فإنهم ركبوا من عقل وشهوة، (وقهره) أي قهر المضاد، أي الشهوة، (على الانقياد عليها)، أي على القوة العقلية، ومن المعلوم أن المطيع الموجود فيه القوتان أفضل من المطيع الموجود فيه قوة العقل فقط، بحيث لا يقدر على المعصية، بل ورد في بعض الأخبار أفضلية المطيع من سائر الناس من الملائكة، ثم إنه صلى الله عليه وآله أفضل من سائر الأنبياء؛ لمتواتر الأخبار والتفصيل في المطولات.

## الخاتمة

نستخلص ممّا سبق النقاط الآتية:

١. الإيضاح الكلامي الذي اعتمده فخر المحققين على كتاب والده، هو زيادة في البحث، ومحاولة لتيسير المعنى أكثر، وزيادة في الأمثلة المسنودة بنصوص القرآن الكريم، والسيرة النبوية العطرة.
٢. النبوة لدى الرؤية الكلامية هي حتمية، ولا يُقبل الشكُّ بها، بل إنّها وساطة بين الله والبشر، والأنبياء هم ميزان الحقِّ، والمكانة التي يحظون بها بفلسفتهم وعرفانيتهم، هي أعلى لكونهم يحملون رتبة النبوة.
٣. إنّ نفس النبيّ عبارة عن نفس جامعة لقوى إدراكية ثلاث، هي قوى الإحساس، والتخيّل، والتعقل، وإنّ ما يترشّح من تلك القوى هو الفيض الكامل، فتصدر عنها الأمثال والرموز والإيضاحات، والتي تقرب المفاهيم الدينية إلى أذهان الناس بالإقناع، مسنودة بالحجّة والمعجزة التي تظهر على يد النبيّ، فهي تكون بالصدّ من منطق المعارضة للنبوة، لسلب ما في يدي الجاهل من وسائل، ويكون عاجزاً عن ردّها، فيؤمن بها، ويتحقّق للنبيّ المشروع الإلهي الذي بُعث من أجله.

٤. لا يوجد فصل بين النبوة والمعجزة، فهذه الأمور جميعها تعبر في جوهر الأمر عن الذات الإلهية وتنزيلاتها، وهذه الذات وفعالها المطلق الساري

في كلِّ شيء، فالنبوة مصدرها إلهي، والمعجزة تحقّق مصداقاً ضدّ المعاندين.

٥. تطرّق فخر المحقّقين إلى مسألة النسخ، وما ادّعاه اليهود من قضية النسخ والتشكيك في نبوة النبي محمد ﷺ، وبوصفها لا تطابق ما نُقل عن النبي موسى عليه السلام، وإن كانت حجّتهم ضعيفة، وروايتهم محرّفة، والتي تقول إنّ دوام شريعة موسى عليه السلام إلى قيام الساعة، ما يعني أنّ أي نبي يأتي برسالة غير رسالة موسى عليه السلام، فهي باطلة بدوام شريعة اليهود.

٦. يسند فخر المحقّقين شرفيّة النبي محمد ﷺ بالأدلة العقلية والغيبية، فضلاً عن شرفيّة الأنبياء على الملائكة، نظراً للقوة الذاتية التي مُنحت للأنبياء، واستطاعوا تطويعها لمرضاة الله تعالى، على حين افتقد الملائكة لإحدى هذه القوى التي تسبّب الانحراف، والتي ابتلي بها الأنبياء فصبروا.

